في الذكرى الستين لوفاة لينين :

تصور لينين لنزع السلاح ما زال ساري المفعول

الاشتراكية والسلام ، الاشتراكية ونزع السلاح ، هذه المبادئ متحدة برباط طبيعي ، فلسفي ، تاريخي ، عميق. ومنذ ١٩١٦ ، بينما كانت الحرب العالمية الاولى تستعر فوق كوكبنا ، كان الناس يسمعون كلمات لينين القائلة بان نزع السلاح هو مثل الاشتراكية الاعلى.

كان فلادمير لينين ، مؤسس الدولة السوفييتية ، يعلق اهمية استثنائية على قضايا نزع السلاح. وكان يؤكد بثبات ان نزع السلاح شعار طبيعي بالنسبة للمجتمع الاشتراكي. ولم يكن لينين بذلك ينظر الى نزع السلاح كغاية بذاتها ، كغاية معزولة ، فهو يرى ان نزع السلاح يكتسب معنى حقيقيا ويكون ذا فائدة حيوية في ساق ستراتيجية السلام والتعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاقتصادية الاجتماعية المختلفة. وهذه الستراتيجية ترفض الحرب كوسيلة لحل التناقضات على المسرح الدولي.

فبتصفية او بانقاص القاعدة المادية والتقنية ، المكدسة بقصد شن حرب ومتابعتها ، يمثل نزع السلاح ، بذلك بالضبط، حسب رأي لينين ، ضمانة حقيقية للسلام ووسيلة مضمونة لاستئصال النزعة العسكرية وخلاصا للبشرية من عبء التسلح ، انه التوجيه الاساسي للجهود المشتركة من جانب جميع الدول الراغبة في اقامة سلام شامل وعادل ووطيد.

نزع السلاح في ستراتيجية السلام

والتصور السوفييتي لنزع السلاح لا يقوم على اوهام او مخططات نظرية (تاملية) بل هو، بالعكس من ذلك، يستند الى اساس علمي ويعكس بصورة صحيحة متطلبات التطور السلمي الاساسية ويشير فعليا الى الاجراءات الواجب اتخاذها . انه ينظر الى نزع السلاح كعملية طويلة الاجل تجرى على مراحل ويتطلب ، وفقا لتعبير لينين ، اشد توتر للقوى، ووضع جميع عوامل السلام قيد العمل،بقصد قهر مقاومة الاوساط العسكرية اما على الصعيد السياسي الدبلوماسي فان التوصل الى تخفيض التسليح يفترض مقاومة حازمة في وجه العمليات العدوانية الامبريالية مع البحث في الوقت نفسه باستمرار وداب عن حلول مقبولة لدى الاطراف على طاولة المفاوضات. واخيرا فان التصور السوفييتي يولي اهمية كبيرة لاعمال المنظمات المحبة للسلام. انه ينطلق من المبدا القائل بان فكرة نزع السلاح ، عندما تقتنع بها الجماهير ، يمكن ان تصبح قوة مادية هامة في السياسة العالمية.

ولم يدرس لينين ويدافع بالحجة عن مكان ودور نزع التسليح في ستراتيجية السلام وحسب ، بل اهتم شخصيا باعداد اعمال دبلوماسية سوفييتية . وقد لفت الانتباه بثبات الى ضرورة النظرة بطريقة حسية الى حلول مشاكل الحرب والسلام مشيرا الى ان الشيء الجوهري لضمان السلام ليست اقوالا تقال بغزارة ، بل اعمالا، فالمهم هو ايجاد تدابير وحلول تكون الابسط والاوضح ، وقادرة على الوصول فعلا الى السلام ، او بالاحرى من شانها ان تستبعد كليا اخطار الحرب.

اما على الصعيد العملي فقد طرحت بلاد السوفييت نزع السلاح خلال المؤتمر الدولي الاول في جنوى (١٩٢٢) . وكانت خطة تخفيض التسليح التي عرضها الوفد السوفييتي على المؤتمر تهدف الى تحقيق الاجراءات الرئيسية الرامية الى التخفيض العام لجيوش جميع الدول كما نصت على التحريم التام في المرحلة الاولى لاكثر اشكال الحرب وحشية وخاصة استخدام وسائل التدمير الموجهة ضد السكان المدنيين. وهكذا فالدولة السوفييتية ، تبعا لارشادات لينين ، لم تنظر الى مسالة تخفيض التسلح بصورة مجردة او نظرية بل بصورة عملية تماما ومحسوسة جدا.

ان الدبلوماسية السوفييتية التي طورت افكار لينين في العشرينات بصورة خلاقة كانت قد صاغت الهدف النهائي للجهود المتضافرة التي تبذلها الدول في هذا الميدان الا وهو نزع السلاح العام والتام. ومع ان الاتحاد السوفييتي نصير دؤوب للاجراءات الجذرية بدون قيود في ميدان نزع السلاح فانه لم ينطلق من موقف "كل شيء او لا شيء" . فمما له دلالته ان الدبلوماسية السوفييتية اقترحت في اواخر العشرينات الى جانب مقترحات التخفيض العام للتسلح ، مشروع اتفاقية حول تخفيض التسلح بصورة جزئية.

وتقيدا بمبادئ لينين ، ينظر الاتحاد السوفييتي الى تحديد التسلح كمشكلة عالمية تعني جميع البلدان وجميع الشعوب. فمنذ ١٩٢٢ اقترحت روسيا السوفييتية عقد مؤتمر حول نزع السلاح بمشاركة جميع بلدان العالم وفي ١٩٣٢ – ١٩٣٥ شاركت بنشاط في مؤتمر جنيف حول نزع السلاح. والاتحاد السوفييتي ، مع تاكيده على المسؤولية الخاصة التي تقع على الدول القوية عسكريا لكي تحد من سباق التسلح ، ينطلق في الوقت نفسه ، من مبدا يقول ان جميع بلدان العالم دون استثناء ، وبصرف النظر عن اهمية قدرتها العسكرية والاقتصادية ، يجب ان تسهم بقسطها في تسوية هذه المسالة.

وبفضل نضالها الذي لا يكل، ضمن ظروف الحصار الراسمالي ارست الدبلوماسية السوفييتية في العشرينات والثلاثينات ، اسس الحركة الحالية من اجل السلام ونزع السلاح.

ظرف جديد

وبعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) ظهرت مشكلة نزع السلاح مرارا وتكرارا كمشكلة رئيسية . ويعود ذلك قبل كل شيء الى كون سباق التسلح اكتسب طابعا خطرا للغاية . فالثورة العلمية التقنية التي تتيح اكتشاف امكانيات وآفاق لا محدودة لاستخدام الموارد الطبيعية البشرية ، استخدمتها الامبريالية ، قبل كل شيء ،بقصد خلق وسائل مدمرة وقاتلة للابادة الجماعية تتمتع بقدرة فريدة.

غير ان امكانيات التوصل الى نتائج عملية في النضال ضد النزعة العسكرية ازدادت بفعل تعزز مواقع قوى الاشتراكية والسلام. واصبحت قوة الاتحاد السوفييتي الاقتصادية والعسكرية ، التي تم انشاؤها بعمل السوفييتيين البطولي ، العامل الاشد تاثيرا في تطور الوضع الدولي اذ اظهرت عدم وجود اي امل من ارادة حل التناقض التاريخي بين الاشتراكية والراسمالية عن طريق القوة. فالقدرة الجبارة لدى الاتحاد السوفييتي والاسرة الاشتراكية كلها تمثل قاعدة مادية لبناء العلاقات الدولية في فترة تاريخية معاصرة، مؤسسة على مبادئ التعايش السلمي اللينينية. والى جانب تغير جذري في ميزان القوى لصالح الاشتراكية ، ظهر وضع تاريخي جديد هو امكانية اقامة سلام وطيد ودائم. وهذا المكسب انتصار هائل للاشتراكية العالمية ولجميع القوى التقدمية.

غير ان وجود اوساط عدوانية في الولايات المتحدة تعمل على الدوام متجمعة حول المجمع الصناعي – العسكري لتعرض في مراحل مختلفة قرارها على مجرى الاحداث بغية الحصول على تفوق في القوة لصالحها.

ومنذ صنع السلاح النووي (١٩٤٥) – السلاح الاشد تدميرا في تاريخ البشرية – حدث تطور الاحداث تحت شعار سباق التسلح وبوتيرة متنامية دون انقطاع وخاصة تحت شعار وسائل الابادة بالجملة وكانت واشنطن دائما هي المبادرة في هذه السباق. اما فيما يتعلق بالاتحاد السوفييتي فقد كان يقوم بهذه الاعمال او تلك في ميدان الدفاع ردا على تهديد امنه ، الاتي من الولايات المتحدة.

وعند تحوم الستينات ، قام وضع ستراتيجي جديد تميز بالتعادل، وفي ظروف التعادل العسكري ، الذي لم يعترف به الاتحاد السوفييتي فقط بل اعترف ايضا كثيرون من الساسة والعسكريين الغربيين ، ومنهم امريكيون ، يعلن الاتحاد السوفييتي تاييده الدؤوب للحفاظ على هذا التوازن ولكن على ادنى مستوى ممكن بغية تفادي حلقة جديدة من سباق التسلح وابعاد خطر الحرب.

لينين في جلسة مفوضي الشعب في الكريملين . موسكو ، ٣ اكتوبر ١٩٢٢

البرنامج السوفييتي واجراءات محسوسة

وكما هو معلوم لدى كل انسان ، تعلى حدود السبعينات والثمانينات ، وخاصة بعد وصول ادارة ريغان الى الحكم ، حصل تغير في سياسة الولايات المتحدة وفي بلدان اخرى اعضاء في الحلف الاطلسي: لقد جرى الانتقال من الانفراج الى المجابهة مع الاتحاد السوفييتي ، مع عالم الاشتراكية. واصبح التوجه يرمي الى الحصول على تفوق الغرب عسكريا. فاخذوا في واشنطن علنا يعلنون امكانية شن حرب نووية عامة او "محدودة" على السواء ، ووضعوا خططا لمواصلة حرب نووية "طويلة الاجل" ضد الاتحاد السوفييتي آملين الانتصار عليه.

وجوابا على محاولات الاوساط الامبريالية تحويل الثمانينات الى فترة مواجهة جديدة وسباق تسلح ، قدم الاتحاد السوفييتي سلسلة من الاقتراحات الحسية العظيمة الاهمية حول نزع السلاح هدفها الكف تماما عن زيادة التسلح والقوات المسلحة كميا ونوعيا ، وتحقيق اجراءات حسية عن طريق كبح سباق التسلح.

واتخذ المؤتمر السادس والعشرون للحزب الشيوعي السوفييتي سلسلة كاملة من المبادرات في ميدان نزع السلاح تتناول جميع نماذج الاسلحة وجميع الجيوش وتحلل الوضع في جميع مناطق العالم. ويحرى باستمرار تطوير الافكار المعلنة اثناء هذا المؤتمر وتجسيدها وتكميلها بعناصر بناءة جديدة.

ان سياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية كلها مربوطة بنجاح المثل الاعلى الوضاء ، مثل نزع السلاح، منذ المرسوم الاول الذي اصدره لينين حول السلام حتى برنامج السلام للثمانينات ، الذي طرحه المؤتمر السادس والعشرون، ومنذ مؤتمر جنوى الاول حول نزع السلاح حتى الدورة الخاصة الاخيرة للجمعية العمومية للامم المتحدة ، حيث اعلن تعهد الاتحاد السوفييتي بان لا يكون البادئ باستعمال السلاح النووي. ان الاتحاد السوفييتي يعمل كل ما في وسعه لكي ينتقل حلم الناس بالسلام وحقهم في الحياة من مثل اعلى لا يمكن الوصول اليه الى حقيقة واقعة. فخلال السنوات الخمس والثلاثين الاخيرة وحدها كان الاتحاد السوفييتي واضع اكثر من مئة اقتراح حسي تتمحور كلها حول تعزيز السلام والامن الدولي. وكثير منها جرى اقتراحه ضمن نطاق الامم المتحدة. ووفقا للوثائق الرسمية التي تضم جدولا يتناول / ٢٣٠ / اقتراحا في ميدان نزع السلاح جرت صياغتها خلال مختلف لقاءات هذه الهيئة الدولية نجد ان ثمانين (٨٠) منها اى اكثر من الثلث قد قدمها الاتحاد السوفييتي والشيء الجوهري لا يكمن في العدد ، طبعا ، وان كان كبيرا ، بل ايضا في نوعية هذه المقترحات ، في اهميتها ، في طابعها العادل والحسي وفي آنيتها.

وفي ايامنا يشكل النضال من اجل تفادي الخطر النووي المهمة المركزية لسياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية. وتتطرح هذه القضية اليوم بصورة اشد حدة مما كانت عليه اثناء الفترة التي عقبت الحرب العالمية الثانية. فالمطلوب هو عدم القبول بحرب عالمية ثالثة لن تكون من حيث عواقبها المخيفة ممكنة المقارنة بشيء ومن شانها ان تتحول الى كارثة على البشرية.

وفي ظروف خطر التدمير الذاتي ، المعلق فوق راس البشرية ، يجب دفع التناقضات بين الدول او مجموعات الدول الى المرتبة الاخيرة وكذلك خلافاتها حول انظمتها الاجتماعية ونمط حياتها او ايديولوجيتها وجميع مصالحها الانية ، اذ ان الامر يتعلق بضرورة اساسية مشتركة لجميع الشعوب الا وهي حماية البشرية من الابادة.